فاطمة الزهراء
المحدَّثة العليمة

إعداد هيئة التحرير

- هويـة
- محمَّدية الزهراء
- الخطبة الفاطمية
- ملامح فاطمية: من قبل الخلق إلى المحشر والشفاعة
- حقيقة الصحيفة الفاطمية
- الصدِّيقة الكبرى كما تحدث عنها ولي أمر المسلمين
- فاطمة بضعة مني: في المصادر السنية
- الزهراء.. القدوة والمنهج: سماحة الأمين العام حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله

فاطمة الزهراء عليها السلام

هوية

- الولادة: بعد البعثة بخمس سنين.
- الهجرة: مع أمير المؤمنين ومعهما باقي الفواطم.
- الزواج: تزوجها علي عليه السلام، بأمر من الله تعالى «زوّج النور من النور».
- ولادة الحسن: السنة الثانية أو الثالثة للهجرة سنة «بدر» في شهر رمضان.
- ولادة الحسين: السنة الثالثة، أو الرابعة للهجرة. عام الخندق.
- ولادة زينب: السنة الخامسة، أو السادسة للهجرة. روي أنها كانت جنيناً عند نزول آية التطهير وحادثة الكساء الخالدة.
- آية التطهير وحديث الكساء: أجمع المسلمون على نزول آية التطهير في خمسة: رسول الله وعلي وفاطمة والحسنين، وأن حديث الكساء خاص بهم، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان طيلة ستة أشهر - وروي تسعة- إذا خرج إلى صلاة الفجر يقف بباب علي وفاطمة، ويقول: الصلاة ياأهل البيت. ﴿ ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب: ٣٣.
- المباهلة: وأجمع المسلمون على نزول آية المباهله فيهم صلوات الله عليهم أجمعين.
- الوثيقة الفاطمية الكبرى: خطبة الزهراء في المسجد النبوي بعد وفاة رسول الله بعشرة أيام.
- من أبرز كلماتها بعد وفاة النبي: في الكافي عن الباقرين: أما والله لولا أني أكره أن يصيب البلاء من لاذنب له، لعلمت أني سأقسم على الله ثم أجده سريع الإجابة.

الشهادة: بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بفترة تتراوح مابين ٤٠ يوماً و٩٥ يوماً.

- غسل الوفاة: غسّلها علي لأن الصدّيقة لايغسلها إلا صدّيق كما في الكافي عن الصادق عليه السلام.
- الدفن: ليلاً بأمر منها، ليبقى مكان القبر مجهولاً.

ثلاث روايات في تاريخ الشهادة

١ – بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بأربعين يوماً = ٨ ربيع الثاني

٢ – بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسة وسبعين يوماً = ١٣ جمادى الأولى

٣ – بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسة وتسعين يوماً = ٣ جمادى الثانية.

تاريخ الشهادة المجهول على علاقة بالقبر المجهول. لتكون روح رحمة الله للعالمين دليلاً لكل محمدي صادق، وتمتد فترة موسم الحديث عنها في كل عام من ذكرى وفاة رسول الله إلى أكثر من ثلاثة أشهر، إلى ذكرى مولدها عليها السلام في ٢٠ جمادى الثانية.

لا تَعْدل برسول الله أحداً

من أجلى أسس توحيد الأمة، المعصومون الأربعة عشر، فرسول الله ﷺ سيد النبيين والخلق أجمعين، وأهل البيت: علي وفاطمة والحسنان، والتسعة المعصومون من عترة الحسين، لايجوز الفصل بينهم وبين رسول الله فهو منهم وهم منه.

مصادر السنة والشيعة التي سلمت من لوثة البلاط، فلم يكن مؤلفوها – الفقهاء والمحدثون والعلماء الأجل– من وعَّاظ السلاطين، تجمع على تعظيم «الحقيقة المحمدية» وتتواضع أمام محمدية المعصومين الثلاثة عشر.

إنها الحقيقة الصراح، وإن كان إعلام امبراطوريات الجور قد تمكن من تغطيتها بالسحب الجهام.

وما هو مصب التوكيد فعلاً: موقع الصديقة الكبرى الزهراء عليها السلام عند السنة والشيعة، وفي إطار التراث الإسلامي غير المسيس.

يرقى إجماع المسلمين حول الزهراء عليها السلام، إلى حيث هو الأول والأجلى من بين مفردات الإجماع على المعصومين الثلاثة عشر.

والمراد بالإجماع ما يشمل «المنقول» و«المركب» و«المحصل ولو بالدلالة الإلتزامية».

إجماع الأمة على قدر الزهراء

لدى تتبع موارد هذا الإجماع حول الزهراء عليها السلام، تطالعنا محاوره الأبرز التالية:

– الكوثر.
– يرضى الله لرضاها.
– من آذاها فقد آذى الله.
– أن الله تعالى فطمها وفطم محبيها عن النار.
– الصدّيقة.
– شفاعتها في المحشر.
– سيدة نساء العالمين.
– سيدة نساء الجنة.
– لولا علي لم يكن لها كفؤ أحد.

وتجد في هذا الملف، نصوص عدد من كبار العلماء السنة حول الزهراء عليها السلام.

المقياس

ربما يتساءل القاريء عن مدى الدقة العلمية في ما تقدم، وهو تساؤل طبيعي في ضوء الخلل البنيوي في معرفة المعصوم عموماً، وليطمئن قلب القاريء إلى هذه القاعدة المدماك في «عقيدة الأمة بالزهراء»، تجدر ملاحظة ما أجاب به أحد كبار علماء المسلمين السنة عندما سئل: أيهما أفضل فاطمة أم خديجة؟ قال: «لاأعدِلُ برسول الله أحداً».

راجع في الملف «فاطمة بضعة مني».

يشير بذلك إلى أن المقياس في معرفة عظمة الزهراء المحمدية أنها «بضعة» و«شَجَنَة» من رسول الله. فالسؤال الموجه إليه هو في الحقيقة بمعنى: أيهما أفضل: محمد أم خديجة؟!

فلا تَعْدِل – أيها العزيز– برسول الله أحداً.

منشأ الخلل العقائدي

في باب معرفة الزهراء حق معرفتها – أي كما عرَّفها رسول الله ﷺ إلى الأمة والأجيال– يطالعنا خطران:

الأول: أن نحصر فضيلة الزهراء بأنها بنت النبي وزوجة علي، وأم الأئمة.

الثاني: أن ننطلق في دراسة مقاييس عظمة عباد الله تعالى، وفق مقاييس «المادة» والحواس، بعيداً عن منظومة القيم، وبالتالي اعتبار المال والموقع، والسلطة والسطوة مقاييس فضل وتفاضل، وهو الأمر النقيض للقاعدة القرآنية الإنسانية: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات: ١٣.

والفرق بين عظمة الزهراء عليها السلام كما هي في إجماع الأمة وبين السائد من معرفتها عليها السلام، لايخلو من سطوة هذين الخطرين.

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بعشرة أيام

خطبة الصدِّيقة الكبرى الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي

عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام، قالوا: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، وانصرف عاملُها منها، لاثت خمارها، ثم أقبلت في لُمّة من حَفَدَتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى دخلت على أبي بكر، وقد حفل حوله المهاجرون والأنصار، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت حتى هدأت فورتُهم، وسكنت روعتُهم، وافتتحت الكلام، فقالت:

«أبتديء بالحمد لمن هو أولى بالحمد والطَّول».

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء على ما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وإحسان منن والاها، جمّ عن الإحصاء عددُها، ونأى عن المجازاة أمدُها، وتفاوت عن الادراك أبدُها، إستدعى الشكور بإفضالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وأمر بالنّدْب إلى أمثالها.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله، كلمةً جعل الإخلاص تأويلها، وضَمّن القلوب موصولها، وأبان في الفكر معقولها، الممتنعُ من الأبصار رؤيتُه، ومن الألسن صفتُه، ومن الأوهام الإحاطةُ به، إبتدع الأشياء لا من شيءٍ كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة [امتثلها]، وضعها لغير فائدة زادتْه، بل إظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريته، وإعزازاً لأهل دعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادةً لعباده عن نَقِمَته، وحياشةً لهم إلى جنته.

وأشهد أنّ أبي محمداً عبده ورسوله، إختاره قبل أن يجتبله، واصطفاه قبل أن يبتعثه، وسمّاه قبل أن يستنجبه، إذ الخلائق في الغيب مكنونة، وبسدّ الأوهام مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله في غامض الأمور، وإحاطة من وراء حادثة الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور. إبتعثه الله إتماماً لعلمه، وعزمةً على إمضاء حكمه، فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عُكّفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمد ظُلَمَها، وفرّج عن القلوب بُهَمَها، وجلا عن الأبصار عَمَهها، وعن الأنفس غُممها. ثم قبضه الله إليه قبضَ رأفة ورحمة، واختيار ورغبة لمحمد عن تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباءُ الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفار، ومجاورة الملك الجبار، أمينه على الوحي، وصفيّه ورضيه، وخِيَرَته من خلقه ونجيّه، فعليه الصلاة والسلام، ورحمة الله وبركاته».

ثم التفتت إلى أهل المجلس، فقالت لجميع المهاجرين والأنصار:

«وأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملةُ دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم لله فيكم، وعهدٌ قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم: كتاب الله، بيّنة بصائرُه، وآيٌ منكشفةٌ سرائره، وبرهان فينا متجليّة ظواهره، مديم للبرية استماعه، وقائد إلى الرضوان أتْباعَه، ومؤدٍّ إلى النّجاة أشياعه، فيه تبيانُ حجج الله المنوّرة، ومواعظُه المكرّرة، وعزائمُه المفسرة، ومحارمُه المحذرة، وأحكامه الكافية، وبيّناته الجالية، وفضائلُه المندوبة، ورخصُه الموهوبة، ورحمتُه المرجوّة، وشرائعُه المكتوبة. ففرض الله عليكم الإيمان تطهيراً لكم من الشّرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزييداً في الرزق، والصيام إثباتاً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدّين، والحقّ تسكيناً للقلوب، وتمكيناً للدين، وطاعتَنا نظاماً للملّة، وإمامتَنا لمّاً للفُرقة، والجهادَ عزاً للإسلام، والصبر معونةً على الإستيجاب، والأمر بالمعروف مصلحةً للعامة، والنهي عن المنكر تنزيهاً للدّين، والبرّ بالوالدين وقايةً من السّخَط، وصلةَ الأرحام منماةً للعدد، وزيادةً في العمر، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنّذور تعرّضاً للمغفرة، ووفاء المكيال والميزان تغييراً للبخس والتطفيف، واجتنابَ قذف المحصنة حجاباً عن اللّعنة، والتّناهي عن شرب الخمور تنزيهاً عن الرّجس، ومجانبةَ السّرقة إيجاباً للعفة، والتنزه عن أكل مال اليتيم والاستئثار به إجارةً من الظلم، والنّهي عن الزنا تحصناً من المقت، والعدل في الأحكام إيناساً للرّعية، وترك الجور في الحكم إثباتاً للوعيد، والنهي عن الشرك إخلاصاً له بالربوبية. فـ﴿ ... اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢، ولا تتولوا مدبرين، وأطيعوه فيما أمركم ونهاكم، فـ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء... ﴾ فاطر: ٢٨، فاحمدوا الله الذي بعظمته ونوره إبتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجة غيبه، وورثة أنبيائه».

ثم قالت: «أنا فاطمة وأبي محمد، أقولها عوداً على بدء، وما أقول إذ أقول سرفاً ولا شططاً، ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١٢٨، إن تَعْزُوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، بلّغ النذارة صادعاً بالرسالة، ناكباً عن سنن المشركين، ضارباً لأثباجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذّ الأصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع، وولّوا الدّبر، وحتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وهدأتْ فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان، وفُهْتُم بكلمة الاخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، فأنقذكم منها (،) تعبدون الأصنام، وتستقسمون بالأزلام، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطيء الأقدام، تشربون الرّنق، وتقتاتون القدة، أذلّةً خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم فأنقذكم بنبيّه محمد صلى الله عليه وآله بعد اللّتيا والتي، وبعد ما مُنيَ بِبُهم الرجال، وذؤبان العرب، ﴿ ... كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ... ﴾ المائدة: ٦٤، أو نجم قَرْنُ الضلالة، أو فغرت فاغرةُ المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، وأنتم في بَلْهنيّة آمنون، وادعون فرحون، تتوكّفون الأخبار، وتَنْكصون عند النّزال على الأعقاب، حتى أقام الله بمحمد صلى الله عليه وآله عمود الدين، فلمّا اختار الله عز وجل له دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهرت حسيكةُ النّفاق، وانسمل جلباب الدين، وأخلق ثوبُه، ونحل عظمه، وَأَوْدَتْ رِمَّتُه، وظهر نابغ، ونبغ خامل، ونطق كاظم، وهدر فَنِيقُ الباطل

يخطر في عَرَصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من معرسه صارخاً بكم، فألفاكم غضاباً، فخطمتم غير إبِلكم، وأوردتموها غير شربكم بداراً، زعمتم خوف الفتنة ﴿ ... أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ التوبة:٤٩.

هذا والعهد قريب، والكَلْم رحيب، والجرح لمّا يندمل، فهيهات منكم، وأين بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجرُه لائحة، وأوامره لامحة، ودلائله واضحة، وأعلامه بيّنة، وقد خالفتموه رغبةً عنه، فبئس للظالمين بدلاً، ثمّ لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتُها، ويَسْلس قيادُها، تسرون حسواً بارتغاء، (..) ونصبر منكم على مثل حزّ المُدى، وزعمتم أنْ لا إرث لنا، أَفَحُكمَ الجاهلية تبغون، ﴿ ... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة:٥٠، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران:٨٥.

إيهاً معشر المسلمين، أأُبْتَزُّ إرثَ أبي، يا بن أبي قحافة؟! أبى الله عز وجل أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فريّاً، جرأةً منكم على قطيعة الرحم، ونكثِ العهد، فعلى عمد ما تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه، إذ يقول الله عز وجل: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ... ﴾ النمل:١٦، ومع ما قصّ من خبر يحيى وزكريا إذ يقول: («..»﴿ ... فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ مريم:٥ ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ مريم:٦. وقال عز وجل: ﴿ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ... ﴾ النساء:١١. وقال تعالى: ﴿ ... إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ... ﴾ البقرة:١٨٠. فزعمتم أن لا حظّ لي، ولا أرِثُ من أبي! أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟! أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثون؟! أولستُ وأبي من أهل ملّة واحدة؟! أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلمُ من النّبي؟! دونَكها مرحولة مزمومة تلقاك يوم حشرك، فنعمَ الحكمُ الله، ونعمَ الزعيمُ محمد، والموعدُ القيامة، وعمّا قليل تؤفكون، وعند السّاعة ما تحشرون، و﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ... ﴾ الأنعام:٦٧، ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ هود:٣٩».

ثم التفتت إلى قبر أبيها صلوات الله عليهما، متمثلة بأبيات صفية بنت عبد المطلب رحمها الله تعالى:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واجتُثّ أهلك مذ غُيّبت واغتُصبوا
أبدت رجال لنا فحوى صدورهم ... لمّا نأيت وحالت دونك الكَثب
تهضّمتنا رجالٌ واستُخف بنا ... دهر فقد أدركوا فينا الذي طلبوا
قد كنت للخلق نوراً يستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فغاب عنا فكلّ الخير محتجب

وأتت من فورها ذلك الأنصار، فقالت: «معشرَ البقية، وأعضاد الملّة، وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي، والسِّنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله أمر بحفظ المرء في ولده؟ فسرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة. أتقولون مات محمد فخطب جليل، إستوسع وهيُه، واستنهر فتقُه، وفُقد راتقُه، فأظلمت الأرض لغيبته، واكتأب خيرةُ الله لمصيبته، وأكْدَت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُ(د)يلت الحرمة بموت محمد، فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في أفنيتكم، ممساكم ومصبحكم هتافا، و(من قبل) ما خلت له أنبياءُ الله ورسله، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران:١٤٤.

(إيهاً) بني قيلة، أهتضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع! تلبسكم الدعوة، ويشملكم الجبن، وفيكم العدّة والعدد، ولكم الدار والجُنن وأنتم نخبة الله التي امتحن، ونحلته التي انتحل، وخيرته التي انتخب لنا أهل البيت، فنابذتم فينا العرب، وناهضتم الأمم وكافحتم البُهم، لا نبرح وتبرحون، ونأمركم فتأتمرون، حتى دارت بنا وبكم رحى الاسلام، ودرّ حلب البلاد، وخضعت بغوة الشرك، وهدأت روعة الهرج، وخبت نار الحرب، واستوسق نظام الدين، فأنّى جرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام، عن قوم ﴿ ...نَكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ التوبة:١٢، أنسيتم قول رسول الله ﷺ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وقوله: إني تارك فيكم الثقلين...؟! ما أسرع ما أحدثتم! وأعجل ما نكصتم!

ألا أرى والله أنْ [قد] أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدّعة، فعجتم عن الدين ومججتم الذي استوعيتم، ودسعتم ما استرعيتم، ألا و﴿ ... إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ* أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ إبراهيم:٩-٨.

ألا وقد قلت الذي قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، ولكنها فيضةُ النفس، ونفثةُ الغيظ، وبثّة الصدر، ومعذرة الحجة، فدونكم فاحتقبوها دبرة الظهر، ناقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ* إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ* فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ الهمزة:٩-٧. فبعين الله ما تفعلون، ﴿ ... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ الشعراء:٢٢٧، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فـ اعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون، ﴿ ... وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد:٤٢، ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ... ﴾ الإسراء:١٣، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ الزلزلة:٧ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ الزلزلة:٨». ثم ولّت، فأتبعها رافع بن رفاعة الزرقي، فقال لها: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلّم في هذا الأمر وذكر للنّاس قبل أن يجري هذا العقد، ما عدلنا به أحداً. فقالت له بردنها: «إليك عني، فما جعل الله لأحد بعد غدير خمّ من حُجةٍ ولا عذر». قال الراوي: فلم يُرباك ولا باكية كان أكثر من ذلك اليوم، وارتجت المدينة، وهاج الناس، وارتفعت الأصوات.

دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، ص 118 ـ 111

حقائق فاطمية

من قبل خلق الخلق إلى المحشر والشفاعة

يجمع المسلمون على أن عظمة الزهراء عليها السلام محمدية، بمعنى أنّنا عندما نتحدث عن الزهراء فالحديث هو عن رسول الله ما عدا النبوة، كما أجمع المسلمون على أن رسول الله صلى الله عليه وآله «سر الوجود» و«النور الأول».

في هَدي ما تقدم. هذا ثبتٌ بنصوص مرجعية تمس الحاجة إليها. مع مختصر من كلمات عدد من العلماء المختصين الأبرز حول الحقائق التي ترد في هذه النصوص.

الإسم:

الإمام الصّادق عليه السلام: «لفاطمة تسعة أسماء عند الله عزّ وجل: فاطمة، والصدِّيقة، والمباركة، والطّاهرة، والزّكيّة، والرّضيّة، والمرضيّة، والمحدّثة، والزّهراء.

فاطمة: ثمّ قال: أتدري أي شئ تفسير إسم فاطمة؟

قلت: أخبرني يا سيّدي. قال: فُطمت من الشرّ، «..» ثمّ قال: لولا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها، لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض من آدم فمن دونه.

وفي جملة من الروايات، أنّها سميت فاطمة لأن الله فطم من أحبّها عن النّار، والمضمون الأخير متفق عليه بين المسلمين.

وروي أنّ اسم فاطمة، شُقّ من اسم الله الفاطر، وسُمّيت الطّاهرة لطهارتها من كلّ دنس...»

الزهراء: عن الإمام الصادق عليه السلام وقد سئل: لِمَ سُميت فاطمة الزّهراء: الزّهراء؟ فقال: «لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلمّا أشرقت أضاءت السّماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرّ الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، وأسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي، أُخرجه من صلب نبيٍّ من أنبيائي، أفضّله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري، يهدون إلى حقي، وأجعلهم خلفاء في أرضي بعد نقضاء وحيي».

البتول: في «النّهاية»: «..» وسُمّيت فاطمة عليها السلام، البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً و حسباً، وقيل لانقطاعها عن الدّنيا إلى الله تعالى «..» و«التّبتل»: من «البَتْل» على وزن «حتم» وتعني في الأصل الإنقطاع. وسُميت الزهراء عليها السلام بالبتول لأنّها كانت أفضل نساء عصرها في السّيرة والسّلوك، وكانت بالغةً درجةَ الإنقطاع إلى الله تعالى.

أولّ ما خلق الله تعالى

تتوقف معرفة المعصومين الأربعة عشر عليهم جميعاً صلوات الله تعالى، على البدء بالتعرف عليهم من مرحلة ما قبل خلق الله تعالى للخلق. والإجماع قائم بين المسلمين على أنّ أول ما خلق الله تعالى هو نور رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الشيخ المفيد عليه الرحمة: والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقاة: بأن آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع "نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه: "أنها أشباح رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم" وأعلمه أن لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماء ولا أرضاً. أضاف: والوجه في ما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم عليه السلام أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم. المسائل السروية – الشيخ المفيد – ص ٣٧ – ٤٠

نور فاطمة من نورنا:

عن المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله في حديثه حول نور

الزهراء: «نور فاطمة من نورنا» عيون المعجزات، ٤٧.

يا فاطر بحق فاطمة:

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ... ﴾ البقرة:٣٧ أنّه رأى ساق العرش وأسماء النّبي والأئمة عليهم السلام، فلقّنه جبرئيل قل: يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطرُ بحقّ فاطمة، يا مُحسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان».

قبل أن تُخلق الأرض والسماء:

«..عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السّلام: قال رسول اللهﷺ: خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن تخلق الأرض والسماء. فقال بعض الناس: يا نبيّ الله فليست هي إنسية؟

فقالﷺ: فاطمة حوراء إنسية، قال: يا نبيّ الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عزّ وجلّ من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم، عرضت على آدم. قيل: يا نبيّ الله وأين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقّة تحت ساق العرش، قالوا: يا نبيّ الله، فما كان طعامها؟

قال: التّسبيح، والتّهليل، والتّحميد. «...»

في القرون الأولى:

أ- الإحتجاج: سأل سعد بن عبد الله القائمع عن تأويل ﴿ كهيعص ﴾ مريم:١. قالع: «هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبدَه زكريا، ثمّ قصّها على محمّدﷺ، وذلك أنّ زكريا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيلع فعلّمه إيّاها، فكان زكرياع، إذا ذكر محمداًﷺ وعليّاً وفاطمة والحسنع سُرّي عنه همه وانجلى كربُه...»

ب- ذكر المحدث الكبير العلامة الخبير الطبرسي رضي الله عنه: عن أبي جعفرع: «ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطّاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطّير والوحوش والأنبياء والملائكة»

ت- «وعلى معرفتها دارت القرون الأولى».

عمرهاع:

«عاشت صلوات الله عليها ثماني عشرة سنة، أقامت بمكّة مع رسول اللهﷺ، ثماني سنين، ثمّ هاجرت مع رسول اللهﷺ «..» وقبض رسول اللهﷺ، ولها يومئذ ثماني عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر وبقيت بعده أربعين يوماً أو خمسة وسبعين، أو خمسة وتسعين يوماً على اختلاف الروايات على غرار روايات ليلة القدر».

مع رسول اللهﷺ:

يرتكز إجماع الأمة على أنّ عظمة الزّهراء محمديّة، إلى الرّوايات الكثيرة جداً التي رواها الشّيعة والسنّة عن رسول اللهﷺ، وهذه نماذج منها:

أ- «.. فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني»، وقد نقله العلامة الأميني - رحمه الله - في الغدير عن تسعة وخمسين راوياً.

ب- عن الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الباقرع، قال الراوي: سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول: «بيت علي وفاطمة حجرة رسول اللهﷺ، وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين، وفي قعر بيوتهم فُرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي. والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساء وكل ساعة وطرفة عين. والملائكة لا تنقطع أفواجهم، فوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد. وإنّ الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم عليه السلامعن السّماوات حتّى أبصر العرش وزاد الله في قوّة ناظره وإن الله زاد في قوة ناظر محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسينع، وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والرّوح فيها بإذن ربّهم من كل أمر سلام «..».

ت- عن عليّ بن أبي طالبع: «بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول اللهﷺ، إذ التفت إلينا فبكى. فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي ممّا يصنع بكم بعدي.

فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكى من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدّها، وطعنة الحسن في الفخذ، والسّم الذي يُسقى، وقتل الحسين.

قال: فبكى أهل البيت جميعاً، ثمّ قال رسول اللهﷺ:

أبشر يا عليّ فإنّ الله عزّ وجلّ قد عهد إليّ أنّه لا يُحبّك إلا مؤمن، ولا يُبغضك إلا منافق».

ث- «.. عن رسول اللهﷺ، قال: فأيّما إمرأة صلّت في اليوم واللّيلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجّت بيت الله الحرام وزكّت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت عليّاً بعدي، دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة».

من عبادتهاع:

الإمام الحسنع: «... رأيت أمّي فاطمةع، قامت

في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتُكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشئ، فقلت لها: يا أمّاه، لم لا تدعون [تدعين] لنفسك كما [تدعين] لغيرك؟ فقالت يا بنيّ، الجار ثم الدار».

على أبواب وفاته ﷺ:

«...عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً بين يدي رسول الله ﷺ، في مرضته التي قُبض فيها، فدخلت فاطمة عليها السلام، فلمّا رأت ما بأبيها ﷺ من الضّعف، بكت حتى جرت دموعها على خدّيها، فقال لها رسول الله ﷺ: ما يُبكيك يا فاطمة؟

قالت: يا رسول الله أخشى الضّيعة على نفسي و ولدي بعدك. فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثمّ قال: يا فاطمة، أما علمتِ أنّا أهلُ بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدّنيا وإنّه حتم الفناء على جميع خلقه، وأنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض اطّلاعة فاختارني منهم وجعلني نبيّا واطّلع إلى الأرض اطّلاعة ثانية، فاختار منها زوجك، فأوحى الله إليّ أن أزوّجك إيّاه، وأن أتّخذه وليّاً و وزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمّتي، فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي: ثمّ اطلع إلى الأرض اطّلاعة ثالثة فاختارك و وُلدك، وأنت سيّدة نساء أهل الجنّة، وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنّة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلّهم هادون مهديّون، والأوصياء بعدي أخي عليّ ثم حسن وحسين ثمّ تسعة من ولد الحسين في درجتي وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله عز وجل من درجتي، و درجة أوصيائي، وأبي إبراهيم».

في المعراج:

روى الشيخ في أماليه: [قال:] قال رسول الله ﷺ: «لمّا عُرج بي إلى السماء، رأيتُ على باب الجنّة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليٌّ حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أَمَةُ الله، على باغضيهم لعنة الله» «ومن طريق المخالفين ما رواه موفق بن أحمد بإسناده عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا عرج بي إلى السّماء رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أمة الله، على باغضيهم لعنة الله».

عند موت المؤمن:

عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: يا سلمان من أحب فاطمة ابنتي فهو في الجنة معي، ومن أبغضها فهو في النار. يا سلمان حب فاطمة عليها السلام ينفع في مائة (من المواطن، أيسرها الموت والقبر [والميزان والمحشر والصراط والعرض والحساب، فمن رضيت (ابنتي عنه) رضيت عنه، ومن رضيت عنه، ومن رضيت عنه رضي الله عنه، ومن غضبت عليه فاطمة عليها السلام غضبت عليه، ومن غضبت عليه غضب الله عليه." .. ".

في المحشر، وعلى باب الجنة:

الإمام الصادق عليه السلام: قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك.

قال أبو جعفر عليه السلام: حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ، قال: إذا كان يوم القيامة " .. " يقول الله تبارك وتعالى " .. " يا أهل الجمع طأطؤا الرؤوس وغضوا الأبصار فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة " .. " فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت: «..» إلى قول جابر:

قال أبو جعفر (عليه السلام): والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردئ " .... ".

الخطبة المباركة:

بعد عشرة أيام من وفاة رسول الله ﷺ.

صديقة شهيدة:

عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إنّ فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة...»

على أبواب شهادتها عليها صلوات الرحمن:

تحدّثنا أسماء تقول: رأيتُها رافعة يديها إلى السّماء وهي تقول: «اللهمَّ إنّي أسألك بمحمّدٍ المصطفى وشوقه إليَّ و بعليٍّ المرتضى وحزنه عليَّ وبالحسن المجتبى وبكائه علي وبالحسين الشهيد وكآبته عليَّ، وببناتي الفاطميات وتحسّرهن عليّ (أن) ترحم وتغفر للعصاة من أمة محمّد وتدخلهم الجنّة، إنّك أكرم المسؤولين وأرحم الرّاحمين».

الشهادة:

دفنت ليلاً ولم يعرف قبرها.

حقيقة الصحيفة الفاطمية

من أبرز تجليات محمدية الزهراء، كونها المحدَّثة العليمة، ومن أبرز تجليات العلم الذي حُدثت به، الصحيفة المنزلة عليها من الله تعالى، والتي يعبر عنها بمصحف فاطمة. أن ذلك مفردة المصحف من الألفاظ العامة التي تطلق على كل مابين دفتي أوراق وصحف، كلفظ الوحي الذي يطلق على كل إلهام إلهي وليس خاصاً بوحي التشريع.

وفي روايات أهل البيت عليهم السلام، توكيد جلي، على أنه ليس في مصحف فاطمة أي تشريع بل هو إخبار بما يكون وبحقائق عن السماوات والأرضين، وكذلك عن مستقبل البشرية ومايجري على ذرية الزهراء عليها السلام.

في مايلي نعرض لما ورد في الروايات وفي كلمات العلماء حول مصحف فاطمة عليها السلام:

في الأحاديث الشريفة

في كتاب «دلائل الإمامة للطبري، ق٤» – وهو بين الكتب المرجعية في المرتبة الأولى– رواية وافية مبسوطة حول مصحف فاطمة عليها السلام:

عن أبي بصير قال: «سألت أبا جعفر [الإمام الباقر] محمد بن علي عليهما السلام، عن مصحف فاطمة، فقال: أُنزل عليها بعد موت أبيها.

قلت: ففيه شيء من القرآن؟

فقال: ما فيه شيء من القرآن.

قلت: فصِفْهُ لي.

قال: له دفّتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمراوين.

قلت: جعلت فداك فصف لي ورقة.

قال: ورقه من درّ أبيض، قيل له: كن فكان.

قلت: جعلت فداك فما فيه؟

قال: فيه خبر ما كان، وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في السماوات من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كلّ من خلق الله مرسلاً وغير مرسل وأسماؤهم، وأسماء من أُرسل إليهم، وأسماء من كَذّب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كلّ بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كلّ من كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن وليّ من الطواغيت ومدةُ ملكهم وعددهم، وأسماء الأئمّة وصفتهم، وما يملك كلُّ واحد واحد، وصفة كُبرائهم، وجميع من تردد في الأدوار.

قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار، فيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم، وصفة أهل الجنّة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النّار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أُنزل، وعلم التّوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل، وعلم الزّبور، وعدد كلّ شجرة ومدرة في جميع البلاد.

[ثمّ] قال أبو جعفر: ولمّا أراد الله تعالى أن ينزل عليها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوه فينزلون به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل، فهبطوا به وهي قائمة تصلي، فما زالوا قياما حتى قعدت، ولما فرغت من صلاتها سلّموا عليها وقالوا: السّلام يقرئك السّلام، و وضعوا المصحف في حجرها، فقالت: لله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام، ثم عرجوا إلى السماء. فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتى أتت على آخره. ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس، والطير والوحش، والأنبياء والملائكة.

قلت: جعلت فداك فلمن صار ذلك المصحف بعد مُضيّها؟

---

٨ من كتاب (في محراب فاطمة) للشيخ حسين كوراني «بتصرّف».

قال: دفعَتْهُ إلى أمير المؤمنين، فلمّا مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين عليه السلام، ثمّ عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر. فقلت: إنّ هذا العلم كثير! قال: يا أبا محمد، إنّ هذا الذي وصفتُه لك لفي ورقتين من أوّله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة ولا تكلّمت بحرف منه».

في حديث عن أبي عبدالله الصّادق عليه السلام:

«ومصحف فاطمة، ما أزعم أنّ فيه قرآنا وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد حتى إنّ فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش».

وفي حديث طويل عنه عليه السلام:

«وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يُدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنّما هو شئ أملاه الله وأوحي إليها».

في حديث آخر عنه عليه السلام:

«وخلفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن، ولكنه كلام من كلام الله أنزل عليها، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ عليّ».

وعن أبي عبدالله عليه السلام، قيل له:

«إنّ عبدالله بن الحسن يزعم أنّه ليس عنده من العلم إلا ما عند الناس، فقال: صدق، والله ما عنده من العلم إلاّ ما عند الناس، ولكنْ عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام، وعندنا الجفر، أفيدري عبدالله أَمسك بعير أو مسك شاة؟ وعندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه حرف من القرآن، ولكنّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ عليّ، كيف يصنع عبدالله إذا جاءه النّاس من كلّ فنٍّ يسألونه، أما ترضون أن تكونوا يوم القيامة آخذين بحجزتنا، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا، ونبيّنا آخذ بحجزة ربه»؟

عن حماد بن عثمان قال:

«سمعت أبا عبدالله يقول: تظهر زنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأنّي نظرت في مصحف فاطمة.

قال: فقلت: وما مصحف فاطمة؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ، فأرسل إليها ملكاً يسلّي عنها غمّها ويُحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي. فأعلمتْه، فجعل يكتب كلّ ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا. قال: ثم قال: أما إنّه ليس الحلال والحرام، ولكنْ فيه علم ما يكون».

عن أبي عبيدة بسند صحيح قال:

«سأل أبا عبدالله عليه السلام بعضُ أصحابنا عن (...مصحف فاطمة عليها السلام..) قال: إنّكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون، إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيُحسن عزاءها على أبيها ويُطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة».

عن الحسين بن أبي العلاء بسند صحيح قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

إنّ عندي الجفر الأبيض قال: قلت فأي شيء فيه؟ قال: زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم عليه السلام والحلال والحرام ومصحف فاطمة، ما أزعم أنّ فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج النّاس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه الجَلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش. وعندي الجفر الأحمر، قال قلت: وأيّ شيء في الجفر الأحمر؟ قال: السلاح، وذلك إنّما يفتح للدّم، يفتحه صاحب السيف للقتل...».

في كلمات العلماء:

يفتخر الإمام الخميني قدس سره في وصيته بأمور من جملتها مصحف فاطمة.

فيقول رضوان الله عليه: «نحن نفخر أنّ لنا مناجاة الأئمة الشعبانيّة، ودعاء عرفات للحسين بن عليؑ، والصّحيفة السجادية زبور آل محمد، هذا والصحيفة الفاطميّة، ذلك الكتاب المُلهَم من قبل الله تعالى للزهراء المرضيّة».

في مكان آخر يتحدث الإمام عن مصحف فاطمةؑ حديث الأمر المفروغ منه، فيقول ما خلاصته: «عندما كان جبرئيلؑ ينزل على الزهراءؑ ويحدثها بما يجري على ذرّيتها من بعدها».

أليس من المحتمل أنه حدّثها عن الجمهورية الإسلامية في إيران؟

وحول بعض تفاصيل نزول جبرئيلؑ على مولاتنا الزهراءؑ؟

أترك الحديث هنا أيضاً للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه حيث بيّن في كتاب «صحيفهء نور» جزء ١٩ صفحة ٢٧٨ ـ ٢٧٩ هذه الخصوصيّات بما لا مزيد عليه. يقول عليه الرحمة والرضوان:

«أنا بالنسبة إلى حضرة الصدّيقةؑ أرى نفسي قاصراً حتى عن ذكرها، إلا أنّني أكتفي برواية فقط، وردت في الكافي الشريف، ونُقلت بسند معتبر» وهي:

سُئل الإمام الصادقؑ عن مصحف فاطمة فقال: «إنّ فاطمةؑ مكثت بعد رسول اللهﷺ خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيلؑ يأتيها فيُحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها، وكان عليّؑ يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة»

يضيف الإمام الخميني:

«وظاهر الرّواية أن تردّد جبرئيل طيلة هذه الخمسة والسّبعين يوماً، كان كثيراً».

«ولا أظنّ أنّ مثل هذا قد ورد حول غير الطبقة الأولى من الأنبياء العظام، طيلة خمسة وسبعين يوماً، كان جبرئيل يتردّد إليها، ويذكر المسائل التي ستقع في المستقبل لذرّيتها، وكان الأميرؑ أيضاً يكتب ذلك، كان الأمير كاتب الوحي كما كان كاتب الوحي لرسول اللهﷺ».

«طبعاً ذلك الوحي بمعنى التّشريع كان قد تمّ».

الوحي المقصود هنا ليس بمعنى الوحي القرآني، أو تشريع الأحكام، إنما هو وحي من نوع آخر.

وأوّل سؤال يرد هنا: وهل هناك وحي من نوع آخر؟ هل يوحى إلى غير رسول الله؟

والجواب:

ألا نجد في القرآن: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى...﴾ القصص:٧، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ...﴾ الأنفال:١٢؟!

حديث الوحي في القرآن يشمل حتى النّحل.

إذاً، يمكن أن يكون وحي من غير نوع الوحي القرآني.

يضيف الإمام:

«ذلك الوحي بمعنى التشريع، كان قد تمّ بذهاب رسول اللهﷺ، كان عليٌّؑ كاتب وحي الصدّيقة في هذه الخمسة والسبعين يوماً».

«مسألة مجيء جبرئيل إلى شخص ليست مسألة عادية. لا تتصور أنّ جبرئيل يأتي إلى أيّ شخص، أو أنّ من الممكن أن يأتي، إنّ هذا بحاجة إلى تناسب بين روح ذلك الشخص الذي يأتي جبرئيل إليه وبين مقام جبرئيل الذي هو الرّوح الأعظم».

«هذا التّناسب كان قائماً بين جبرئيل الرّوح الأعظم، والدّرجة الأولى من الأنبياء، كرسول الله وموسى وعيسى وإبراهيم وأمثالهم».

إلى أن يقول رضوان الله عليه:

«إنّني أعتبر هذه الفضيلة للزّهراء عليها السّلام على الرّغم من عظمة كل فضائلها الأخرى ـ أعتبرها ـ أعلى فضائلها، حيث لم يتحقّق مثلها لغير الأنبياء، بل لم يتحقّق مثلها لجميع الأنبياء، وإنما للطّبقة العليا منهم، ولأعظم الأولياء الذين هم في رتبتهم، ولم تتحقق لشخص آخر. وهذه من الفضائل المختصة بالصدّيقةؑ».

في «من لا يحضره الفقيه»: من خصائص الإمام، «ويكون عنده مصحف فاطمة».

يقول الشيخ محي الدين إبن عربي:

«وأمّا الصّحيفة، فهي صحيفة فاطمة رضي الله عنها، فإنّه أشار بها إلى ذِكر الوقائع والفتن والملاحم وما هو كائن إلى يوم القيامة».

الصدّيقة الكبرى $

كما تحدث عنها وليّ أمر المسلمين المرجع السيد الخامنئي دام ظله

«يعجز اللّسان والبيان عن شرح مقامات الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام. ولا يسعنا أن نصفها، لأنّ صيغ التّعبير المعهودة تقصُر عن وصفها. مقام التّوصيف يقصرُ عن أن يبلغ بنا إلى حيث حقيقةُ أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين.

اولئك الذين عملوا على تنقية قلوبهم وأخلصوا أفعالهم. الذين طهّروا أبدانهم وأرواحهم، ولزموا التّقوى وطهارة السّريرة وعملوا على إصلاح أنفسهم، فتخلّصوا شيئاً ما من الدَّرن الذي يُبتلى به غيرهم، هؤلاء بمقدورهم أن يروا، لكنّهم كسواهم قاصرون عن وصف هذه المقامات. لكنّ قلوبهم الطّاهرة وبصيرتهم البصيرة تستطيع أن تُعاين ـ نوعاً ما ـ عن قرب الأنوار القدسيّة لأهل البيت ومنهم الصّدّيقة الكبرى وتستطيع أن تُدرك مقاماتهم.

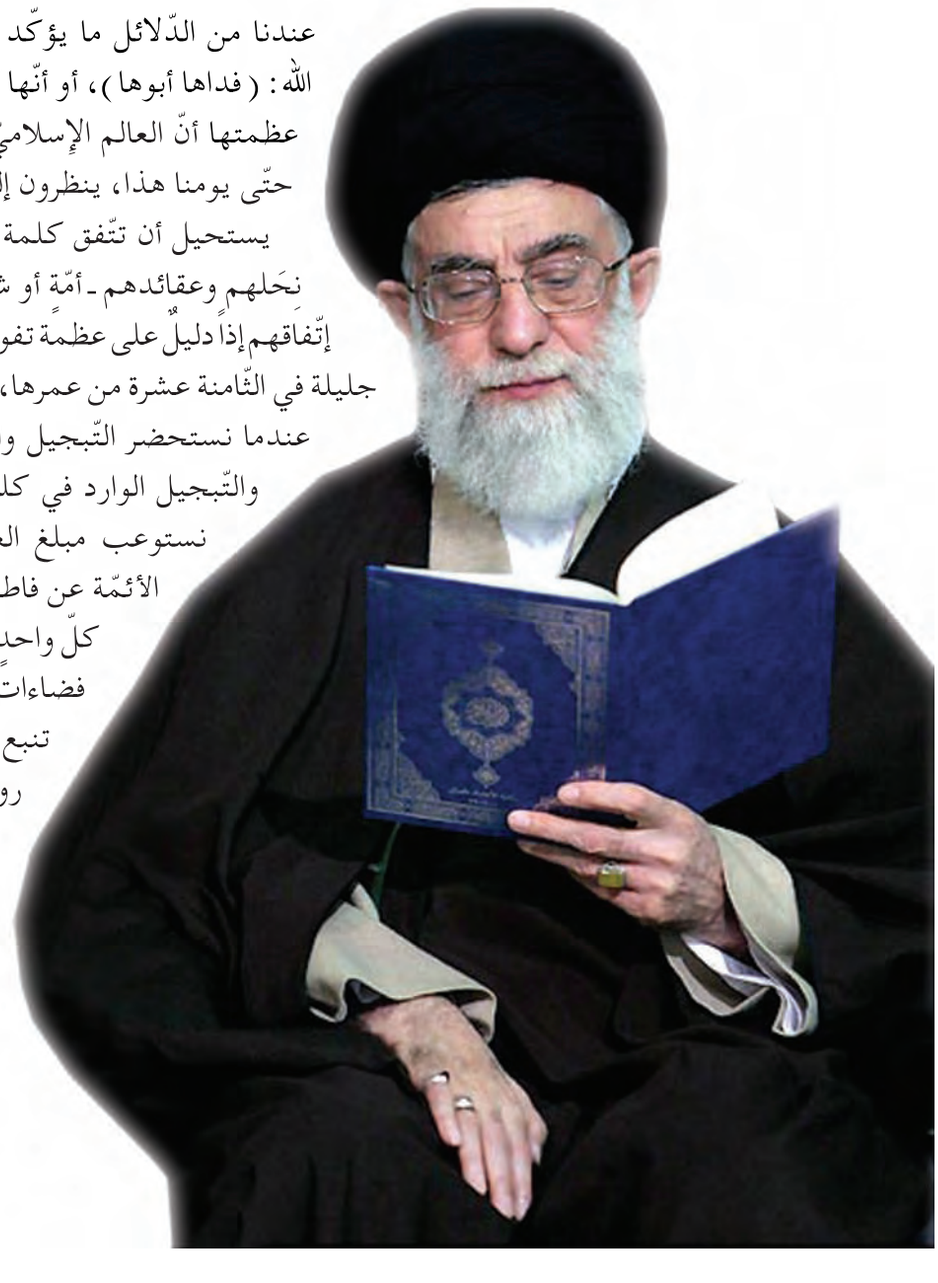

عندنا من الدّلائل ما يؤكّد عظمتها صلوات الله عليها. منها قول رسول الله: (فداها أبوها)، أو أنّها كانت إذا دخلت عليه (قام إليها). ومن دلائل عظمتها أنّ العالم الإسلاميّ بأسره، سنّةً وشيعة على السّواء، ومن حينها حتّى يومنا هذا، ينظرون إلى الصّدّيقة الكبرى بعين العظمة والمهابة.

يستحيل أن تتّفق كلمة جميع علماء وعقلاء ومفكّري ـ على اختلاف نِحَلهم وعقائدهم ـ أمّة أو شعب طوال تاريخه على مدح وثناء عَلَم بعينه، إتّفاقهم إذاً دليلٌ على عظمة تفوق الوصف. وكلّ هذه العظمة اختصّت بها سيّدة جليلة في الثّامنة عشرة من عمرها، أو في الثّانية والعشرين على أبعد تقدير.

عندما نستحضر التّبجيل والإحترام الذي يُكنّه أميرالمؤمنين للزّهراء عليها السلام، والتّبجيل الوارد في كلمات وروايات جميع الأئمّة عليهم السلام، نستطيع أن نستوعب مبلغ العظمة والوله الذي يتلاطم في ثنايا كلمات الأئمّة عن فاطمة الزّهراء. صلوت الله عليها.

كلّ واحدٍ من الأئمّة عليهم السلام بمثابة بحرٍ هادر، روى وأخصب فضاءات المعرفة والقابليّات الإنسانيّة. وهذه السّواقي تنبع من نبع فاطمة الزّهراء سلام الله عليها الفوّار. روايات الصّادقين عليهما السلام، عظمة الإمام الكاظم والإمام الرّضا والأئمّة من أبنائه صلوات الله عليهم، المقام المتعالي لبقية الله أرواحنا له الفداء، هذه كلّها سواقي تنبع من ذلك النّبع الفوّار، من ذلك الكوثر، الكوثر الذي لا ينضب. الأئمّة هم بركات فاطمة الزّهراء عليها السلام.

لقد حوت فاطمة الزّهراء عليها السلام جميع الفضائل التي ينسبها القرآن للمفضّلات من النّساء. فقوله تعالى ﴿ ... وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران:٤٢ عن السيّدة مريم، يعني أنّها كانت سيّدة نساء أهل زمانها، لكنّ فاطمة الزّهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين في جميع مراحل التّاريخ. هذه هي القدوة. واليوم، نحن أحوج ما نكون إليها».

مقتطف من خطاب لسماحته (حفظه الله) بمناسبة ولادة الصدّيقة الكبرى عليها السلام ألقاه في ٨ آب ٢٠٠٥ وقد تُرجم نقلاً عن مجلّة خيمة (فارسي) العدد ١٩.، رجب ١٤٢٦هـ.

عظمة الزهراء صلوات الله عليها:

«إنّ كلّ ما نقوله حول الزهراء عليها السلام قليل، وفي الحقيقة إنّنا لا نعلم ما يجب قوله في الزهراء عليها السلام وما يجب التفكير فيه، فالأبعاد الوجودية لهذه الحوراء الإنسية والرّوح الخالصة وخلاصة النبوة والولاية واسعة ولا متناهية وغير قابلة للإدراك وهي بصورة بحيث يتحيّر الإنسان فيها.

كما تعلمون، فإنّ المعاصَرة تعتبر من الأمور التي تمنع الإنسان من معرفة الشخصيات بصورة جيدة، فغالباً لم تُعرف النّجوم السّاطعة في عالم البشرية في حياتها من قبل معاصريها، إلاّ من ندر من العظام كالأنبياء والأولياء، وهؤلاء أيضاً عرفوا من قِبل أفراد معدودين فقط. إلاّ أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت في عصرها بصورة بحيث لم يمتدحها أبوها وبعلها وبنوها وخواصّ شيعتهم فحسب، بل أنّها كانت تُمتدح حتى من قبل أولئك الذين لم تكن لهم علاقات سليمة معها. أنظروا إلى الكتب التي أُلِّفت حول الزهراء عليها السلام أو حول كيفية تعامل النّبي مع هذه العظيمة.

عن عائشة أنّها قالت: «والله ما رأيت في سَمْتِه وهَدْيِه أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، وكان إذا دخلت على رسول الله قام إليها»، أيْ أنّه صلى الله عليه وآله كان يقوم من مكانه ويتحرك نحوها بكلّ شوق، هذا معنى «قام إليها»، وليس معناه أنّه إذا دخلت الزهراء عليها السلام قام أمامها النبي صلى الله عليه وآله، كلا، قام وذهب إليها، وفي بعض الروايات المروية عن عائشة أيضاً جاء هكذا «وكان يقبّلها ويجلسها مجلسه».

هذه هي منزلة الزّهراء عليها السلام، فماذا يقول الإنسان حول ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وماذا يقول حول هذا الموجود العظيم؟

سبيل الإهتداء

إنّ عظمة الزهراء عليها السلام أيّها الأعزاء مشهودة في سيرتها.. وهنا توجد مسألتان:

المسألة الأولى: ما مدى تعلقنا بالزهراء عليها السلام؟

حسناً، إنّ محبّي أهل البيت عليهم السلام قد سعوا طوال تاريخ الإسلام إلى احترام آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله والتعلّق بهم وخصوصاً الزهراء عليها السلام بالقدر المستطاع، وليس لأحد أن يتصوّر أنّ هذه العظيمة أصبحت عزيزة على القلوب في عصرنا فقط. نعم في عصرنا ما في القلوب يجري على الألسن؛ لأنّه عهدُ الإسلام وحكومةُ القرآن، عهد الحكومة العَلويّة وحكومة أهل البيت عليهم السلام، إنّها كانت عزيزة دائماً. فأقدم جامعة إسلامية في العالم الإسلامي والتي يعود تاريخها إلى القرنين الثالث والرابع الهجري هي باسم الزهراء عليها السلام، ألا وهي جامعة الأزهر في مصر والمشتق اسمها من اسم الزهراء عليها السلام، فكان الخلفاء الفاطميون الشيعة الذين كانوا يحكمون مصر آنذاك يسمّون جامعاتهم باسم الزهراء عليها السلام. وقد سعى الشيعة على مدى القرون الماضية للتعلّق بهذه العظيمة.

المسألة الأخرى: هي أنّه يجب علينا اهتداء الطريق بها: عندما يسطع نجم في السماء فهو لا يختص بهذه الكرة الأرضية فقط. يقال إن بعض هذه النجوم التي هي كالنقطة في السماء، هي في الحقيقة أكبر من مجرة درب التبّانة التي تشاهدونها والتي تتشكّل من ملايين النجوم. فلا نهاية للقدرة الإلهية، لكننا نشاهدها نقطة تسطع في السماء. حسناً، فلا بد للإنسان العاقل الذي وهبه الله العين أن يستفيد من هذا النجم في حياته، والقرآن يقول ﴿ ... وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ النحل:١٦.

نقلاً عن الموقع الإلكتروني لمجلة بقية الله، غير مؤرّخ.

«فاطمة بضعة منّي»

في المصادر السنّيّة

عن رسول الله ﷺ: «إنّما فاطمة بضْعَةٌ منّي، من آذاها فقد آذاني، ومن أحبّها فقد أحبّني، ومن سرّها فقد سرّني».

هذه الرواية وما يتّحد معها مضموناً، ويشبهها لفظاً، من المضامين المستفيضة، بل المتواترة في مصادر الشّيعة والسنّة، وفي ما يلي بعض ما جاء في بعض أمهات المصادر السنية، في عرض عدد من كبار العلماء، حول ذلك:

قال الحافظ القسطلاني(٨٥١– ٩٢٣هج) في إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري:

«قال العلماء: في هذا الحديث تحريم إيذائه* بكلّ حال، وعلى كلّ وجه، وإن تولّد الإيذاء ممّا أصله مباح».

ومراده أنّه إذا قام الإنسان بعملٍ مباحٍ، ولكنّ هذا العمل المباح الحلال، يؤدّي إلى أمرٍ فيه أذىً لرسول الله ﷺ، فإنّ هذا العمل يصبح حراماً.

ثم يقول: «**وهذا من خصائصه ﷺ**».

ويذكر «النّووي» في شرح صحيح مسلم نفس النّص تقريباً.

وجاء في كتاب «فيض القدير، شرح الجامع الصغير» للمناوي (ت ١٠٣١):

«**فاطمة** إبنته **بضعة** ـ بفتح أوله ـ وحكي ـ ضمّه وكسره وسكون المعجمة ـ والأشهر الفتح، أي جزء منّي، كقطعة لحم منّي، فمن أغضبها بفعل ما لا يرضيها فقد أغضبني.

إستدلّ به السّهيلي على أنّ من سبّها كفر، لأنّه يغضبه، وأنّها أفضل من الشيخين.

قال ابن حجر: وفيه نظر.

قال الشّريف السّمهوديّ:

ومعلومٌ أنّ أولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثمّ لمّا رأت أمّ الفضل في النوم أنّ بضعة منه وضعت في حجرها، أوّلها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت الحسن فوضع في حجرها، فكلّ من يُشاهَد الآن من ذرّيتها بضعة من تلك البضعة وإن تعدّدت الوسائط، ومن تأمّل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنّب بغضهم، على أيّ حال كانوا عليه. إهـ.

قال ابن حجر:

وفيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى ﷺ بتأذّيه، فكلّ من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذّت به، فالنّبي ﷺ يتأذّى به بشهادة هذا الخبر. ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قتل ولدها، ولهذا عرف بالاستقراء معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ولعذاب الآخرة أشدّ. إهـ.

ثمّ قال: في «المناقب»:

عن المسوّر بن مخرمة: فاطمة بضعة ـ بفتح الباء على المشهور ـ وفي رواية: مضغة ـ بميم مضمومة وبغين معجمة ـ ذكره ابن حجر منّي يقبضني ما يقبضها أي أكره ما تكرهه وأنجمع ممّا تنجمع منه ويبسطني ما يبسطها ـ أي يسرّني ما يسرّها ـ . .

وساق الكلام إلى حيث يقول:

قال السّبكي الذي نختاره وندين الله به: أنّ فاطمة أفضل ثمّ خديجة ثمّ عائشة ولم يخف عنّا الخلاف في ذلك، ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل. إلى هنا كلامه.

قال الشيخ شهاب الدين بن حجر:

ولوضوح ما قاله السّبكي تبعه عليه المحقّقون، قال: فأفضلهنّ فاطمة فخديجة فعائشة. . .

قال في المطامح:

. . .وقد زلّ قدم البعض فقال: إنّ فاطمة إنّما شرُفتْ بالمهديّ، الذي يخرج منها وهذا كفرٌ لا غبار عليه،

وسمعت بعض شيوخنا يحكيه عن السّهيلي عفا الله عنه وقد كفر وامتُحن من أجلها، فإنّما قال ذلك من قلّة الدين، والاجتراء على الهوى والباطل. إهـ.

وقد اجترأ عفا الله عنه على السّهيلي ونسب إليه ما لم يقله فإنّه لم يقل: إنّها شرفت بالمهدي كما زعمه، بل قال: إنّ ذلك من جملة سؤددها، وشتّان ما بين التعبيرين. وعبارةُ السّهيلي في روضه عند كلامه على خبر إنها سيدة نساء أهل الجنة، ما نصّه:

«ومن سؤددها أيضاً: أنّ المهديّ المبشرّ به في آخر الزمان من ذرّيتها، مخصوصة بذلك كلّه».

هذه عبارته بحروفها، وليس فيها أنّها إنّما شرفت بالمهدي، كما عزي إليه والتّعصب يصنع العجائب.

إلى أن يقول المناويّ:

وفي مسند أحمد وغيره، أنّها لمّا احتضرت غسّلت نفسها، وأوصت أن لا يكشفها أحد، فدفنها عليّ بغسلها ذلك.

وذكر العلم العراقيّ أنّ فاطمة وأخاها إبراهيم أفضل من الخلفاء الأربعة.

●وأنت ترى في هذه النّصوص بوضوح أنّ قدسيّة الصِّديقة الكبرى من قدسيّة المصطفى الحبيب ﷺ.

زيارة الصديقة الكبرى الزهراء عليها السلام

السَّلامُ عَلَيْكِ يابِنْتَ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يابِنْتَ نَبِيِّ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ حَبِيبِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يابِنْتَ خَلِيلِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يابِنْتَ صَفِيِّ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يابِنْتَ أَمِينِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ يابِنْتَ أَفْضَلِ أَنْبِياءِ الله وَرُسُلِهِ وَمَلائِكَتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكِ يابِنْتَ خَيْرِ البَرِيَّةِ، السَّلامُ عَلَيْكِ ياسَيِّدَةَ نِساءِ العالَمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ يا زَوْجَةَ وَلِيِّ الله وَخَيْرِ الخَلْقِ بَعْدَ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكِ ياأُمَّ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها الصِّدِّيقَةُ الشَّهِيدَةُ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها الرَّضِيَّةُ المَرْضِيَّةُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيَّتُها الفاضِلَةُ الزَّكِيَّةُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيَّتُها الحَوْراءُ الإِنْسِيَّةُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيَّتُها التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيَّتُها المُحَدَّثَةُ العَلِيمَةُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيَّتُها المَغْصُوبَةُ المَظْلُومَةُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيَّتُها المُضْطَهَدَةُ المَقْهُورَةُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يافاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ الله وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ.

صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلى رُوحِكِ وَبَدَنِكِ، أَشْهَدُ أَنَّكِ مَضَيْتِ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكِ وَأَنَّ مَنْ سَرَّكِ فَقَدْ سَرَّ رَسُولَ الله، وَمَنْ جَفاكِ فَقَدْ جَفا رَسُولَ الله، وَمَنْ آذاكِ فَقَدْ آذى رَسُولَ الله، وَمَنْ وَصَلَكِ فَقَدْ وَصَلَ رَسُولَ الله، وَمَنْ قَطَعَكِ فَقَدْ قَطَعَ رَسُولَ الله، لأَنَّكِ بِضْعَةٌ مِنْهُ وَرُوحُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَمَا قَالَ صلّى اللهُ عليه وآله، أُشْهِدُ الله وَرُسُلَهُ وَمَلائِكَتَهُ أَنِّي راضٍ عَمَّنْ رَضِيتِ عَنْهُ، ساخِطٌ عَلى مَنْ سَخَطْتِ عَلَيْهِ، مُتَبَرِّئٌ مِمَّنْ تَبَرَّأْتِ مِنْهُ، مُوالٍ لِمَنْ وَالَيْتِ، مُعادٍ لِمَنْ عادَيْتِ، مُبْغِضٌ لِمَنْ أَبْغَضْتِ، مُحِبٌّ لِمَنْ أَحْبَبْتِ، وَكَفى بِالله شَهِيداً وَحَسِيباً وَجازِياً وَمُثِيباً.

ثم قل: اللهمّ صلّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله خاتَم النبيّين وخير الخلائق أجمعين، وصلّ على وصيّه عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وإمام المسلمين وخير الوصيّين، وصلّ على فاطمةَ بنتِ محمد، سيدةِ نساءِ العالمين، وصلّ على سيّدي شبابِ أهلِ الجنة، الحسن والحسين، وصلّ على زينِ العابدين، عليّ بن الحسين، وصلّ على محمدِ بنِ علي، باقرِ العلم، وصلّ على الصادق عن الله جعفرِ بن محمد، وصلّ على الكاظم الغيظ في الله موسى بن جعفر، وصلّ على الرضا عليّ بن موسى، وصلّ على التّقيّ محمدِ بن علي، وصلّ على النّقيّ عليّ بن محمد، وصلِّ على الزّكيّ الحسن بن علي، وصلّ على الحجّةِ ابنِ الحسن بن علي، اللهمّ أحي به العدلَ وأَمِتْ به الجَورَ وزيِّن بطول بقائه الأرض، وأَظهِرْ به دينَك وسُنَّةَ نبيّك، حتى لا يَستخفيَ بشيءٍ من الحقّ مخافةَ أحدٍ من الخلق، واجعلنا من أعوانه وأشياعه والمقبولين في زُمرةِ أوليائه يا ربّ العالمين، اللهمّ صلّ على محمدٍ وأهلِ بيته الذين أذهبتَ عنهم الرّجسَ وطهّرتهم تطهيرا.

حيـــاة الزهـــراء عليها السلام

القدوة والمنهج

سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله دام عزه

يقول الله عزّ وجلّ في كتابه المجيد: ﴿ ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

صدق الله العليّ العظيم.

في يوم الثالث من شهر جمادى الآخرة كان يوم الرّحيل المحزن لبضعة رسول الله صلى الله عليه وآله سيّدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وزوجة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وأمّ الأئمّة عليهم السلام.

في يوم الثالث من شهر جمادى الثانية وبعد فترة وجيزة جداً من وفاة رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله، كانت وفاتها وكان رحيلها المأساوي عن هذه الدّنيا الفانية، وحريّ بنا في ذكرى محزنة لأعظم امرأة في التّاريخ ولإحياء أمر أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام أن نتحدّث عن «الصديقة الكبرى» عن موقعها، عن الأسوة فيها، عمّا تحمّلته وواجهته في هذه الحياة لأنّ في ذلك إحياء للأمر واقتداء بالرّسول وأهل البيت عليهم السلام الله أجمعين.

فاطمة الزهراء عليها السلام

هي سيّدة نساء العالمين وليست سيّدة نساء زمانها، ففي الرّوايات أنّ مريم عليها السلام كانت سيّدة النّساء ولكن في زمانها، وأنّ آسيا كانت سيّدة النّساء ولكن في زمانها، وأنّ خديجة الكبرى كانت سيّدة النساء ولكن في زمانها، أمّا فاطمة الزهراء عليها السلام فهي سيّدة نساء العالمين منذ أن خلق الله آدم إلى قيام الساعة.

إنها في هذا الموقع الإلهي الكبير.

وما كانت لتكون كذلك لولا الإختيار الإلهي لأنّ الله هو الّذي يختار – من يشاء من خلقه –إليه وإلى مقامات قربه وإلى مواقع الكرامة عنده. لأنّها هي بحدّ ذاتها عارفة، عاملة، زاهدة، قريبة من الله عزّ وجلّ كانت كذلك.

لم تصبح فاطمة سيّدة لنساء العالمين لأنها بنت محمّد صلى الله عليه وآله، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يعطي المقامات المعنوية على أساس القرابة وعلى أساس النّسَب. كثير من الأنبياء والأئمة كان أعمامهم أو أبناؤهم أو زوجاتهم أو بناتهم قد لا يكونون على صلاح وقد لا يكونون على خير.

والقرآن الكريم لم يذكر أحداً من قريش بالإسم الواضح والصّريح إلاّ اسم أبي لهب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي الوقت الّذي كان فيه أبو جهل وأبو سفيان وأميّة وما شاكل، كانوا لا يقلّون طغياناً وعتوّاً وإفساداً واستكباراً وبُعداً عن الله من أبي لهب. أبو لهب في أحسن الحالات أو في أسوأ الحالات كان في صفّ أبي جهل وأبي سفيان، لكنّ الله عزّ وجلّ تحدّث عن أبي لهب وعن زوجة أبي لهب في كتابه الّذي أنزله على قلب محمّد ابن عبد الله إبن أخ أبي لهب.

*–من خطبة لسماحته، في ذكرى شهادة السيدة الزهراء عليها السلام.

عند الله عزّ وجلّ لاتكون تكون المقامات المعنويّة، على أساس مقاييس القرابة.

وإنّما الله عزّ وجلّ يجتبي إليه ويصطفي إليه, يرفع الّذين آمنوا والّذين عملوا الصّالحات والّذين جاهدوا أنفسهم وأعداءهم من أجل رضا الله سبحانه وتعالى.

لم تصبح فاطمة سيّدة نساء العالمين لأنّها بنت محمّدﷺ، وليس لأنّها زوجة علي ابن أبي طالبؑ، بل لأنّها فاطمة. لأنّها تملك من المواصفات الإنسانيّة والرّوحية والمعنويّة والأخلاقيّة ما لا تملكه امرأة في هذا الوجود على الإطلاق.

لأنّ فاطمة مميّزة عن كل نساء العالم في مستواها الرّوحي والأخلاقي والمعنوي، وفي عبادتها، وفي خلوصها، وفي طهرها، وفي صفائها، وفي نقائها كانت سيّدة النّساء.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كونها سيدة النساء في العالم، سيدة نساء العالمين، لا يُقصد بهذا أن يكون لفاطمةؑ مقام فخري أو رمزي أو معنوي بمعزلٍ عن مسؤوليات في هذه الأمّة اتجاه من يكون في هذا المقام المعنوي والسّامي.

عندما يؤكد الإسلام أنّ فاطمة الزهراءؑ هي سيّدة نساء العالمين، فهذا يعني أنّ على نساء العالم وعلى نساء المسلمين، وعلى المسلمين جميعاً وبالأخص على نساء المسلمين أن يتّخذن من الزّهراء أسوة وقدوة للإتباع وللإقتداء وللسير على خطاها.

هذا يعني أنّها سيدة نساء العالمين.

ضرورة معرفة الزهراءؑ

مطلوب من نساء العالمين أن ينظرن كيف عاشت الزهراء، كيف كانت الزهراء، وكيف كانت تفكر، وكيف كانت تعبد، وكيف كانت تعيش في بيتها وفي محيطها وفي مجتمعها، كيف كانت تأكل، بماذا كانت تقنع، وماذا كانت تطلب؟

أن يدرسوا حياة هذه السيدة الجليلة العظيمة، ويتّخذوا من حياتها أسوةً وقدوةً ومنهاجاً وطريقاً في هذه الحياة المحدودة، والّتي سوف يقدم كل واحدْ منّا بعد مضيّها على الإله الواحد الأحد الجبّار، ليُسأل عن كلّ صغيرة وكبيرة في هذه الحياة كيف عاشها.

عندما نقول الزهراء هي سيدة نساء العالمين فالمطلوب الإقتداء بالزهراء، والتأسّي بالزهراءؑ .

الزهراء لم تعش سنوات طويلة، وبحسب بعض الروايات فإنّ الزهراءؑ عندما توفيت كان لها من العمر ثماني عشرة سنة، والبعض يقول تسع عشرة سنة، والبعض يقول عشرين سنة.

وفي الحقيقة إنّ حياة الزهراءؑ بالرّغم من قصرها، وبالرغم من شبابها وقصر عمرها استطاعت أن تصل الى تلك المقامات الروحية والمعنوية العالية الّتي أهّلتها لأن تكون عند الله سيدة نساء العالمين.

تعرفون أنّ الزهراء ولدت في مكة وعاشت سنواتها الأولى في ظلّ التّحدّي الكبير بين رسول الله وبين عتاة وطغاة قريش، وعاشت الهجرة ثمّ كل ظروف المدينة، والحروب والغزوات والمواجهات والتّحديات والمخاطر الّتي كانت تحيط برسول اللهﷺ، والّتي كانت تحيط بالإسلام وبالأمة الفتيّة الّتي أسسها رسول اللهﷺ، أي أن الزهراءؑ عاصرت وهي في صباها، المرحلة المصيرية والتاريخية من تاريخ الدعوة الاسلامية، وحركة رسول اللهﷺ « . . » .

ننقل من التاريخ عن السيدة الزهراء بعد وفاة الرّسولﷺ أجواء الحزن والأسى والبكاء والألم والحسرة الّتي كان عنوانها فراق الرّسولﷺ، لكن هل كانت المسألة فقط في حدود العاطفة والمشاعر والأحاسيس، أو كانت المسألة أبعد من ذلك؟

إنّ الزهراءؑ كانت تدرك جيّداً وتماماً ماذا ينتظر هذه الأمّة من مصائب ومن فتن ومن محن، وماذا ينتظر هذا الجيل، وماذا ينتظر عليّها وحَسَنها وحُسيْنها وزينبها وابناءها من آتي الأيام، كانت تعرف كل ذلك وكانت تنظر إليه بعد رحيل رسول اللهﷺ، الّذي جعل الزهراءؑ تعيش هذا المستوى الكبير والعالي من الحزن ليس فقط فراق الرّسولﷺ، وإنّما الخوف والقلق والهمّ الكبير الّذي كانت تحمله تجاه مستقبل الإسلام وتجاه مستقبل الأمّة.

وبالفعل هي وقفت وخطبت وتكلّمت وصرخت وذهبت إلى بيوت المهاجرين والأنصار رغم مرضها وأقامت الحجّة، ولم تُبقِ عذراً أو حجّةً لأحد، وبذلت كل جهدها وأدّت كل ما تستطيع وبذلت كل طاقتها وما في وسعها إلى أن كانت النتيجة البيّنة والواضحة، وكان المسار الذّي يُرسم لا مجال لتغييره، وكان الحزن والأسى والألم يتآكل قلبها على فراق الرسولﷺ وعلى مستقبل هذه الأمّة، وكانت الوفاة الحزينة المظلومة والمأساوية للزهراءؑ.